

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

هذا القريض - كما قال المخزومي لعبد الملك بن مروان وقد لقيه في طريق الحج بعد ما أنكره وكرهه فقال : بئست التحية من ابن العم على الذئبي - وهذا لعمرى بئست تحية الغريب من القاطنين ! ولأؤممت هديّة الوافد من المقيمين ! وقد كان حقّ الغريب أن يكثر قليلاً ويسدّد زيفه ويثبّت زلاله ويُعَار من معالي الصفات ما يؤنس غُرْبته ويصدق مخيلته ويعلم أن قد حلّ على أشباه القعقاع بن شور الذين لا يشقى بهم جليس ولا يذمّ دخلتهم أنيس ولا يزورهم نازح الدار إلا سلا عن وطنه ولا يسكن إلى قريبهم شاكٍ لذبّوة الحطّ إلا صلح ما بينه وبين زمّنه إلى أن يبدوا عن تباينه ويجثوا عما وراء ظهره يأخذوا بعادة أهل الأثر ويحملوا نفوسهم معه على ما في الجواب من الغرر . على أن هذا الطارئ عليهم رجلٌ كان أربّه من العلم ما فيه حظّ نَفْسِه وتهذيب خلائقه والافتداءُ بهذه الآداب الزاكية على تقويم أوده والاستعانة بقليل هذه الحكم المصلحة على إصلاح فكرهم خدوماً بالعلم لا خادماً ومتبوعاً بمُلَاحِ غرائب الآداب لا نابعاً وعلى أنه لو كان قد احتبى للجدال وركب للنزال وتحدّى بعلمه تحدّي المعجز وتعرّض لكافّة العلماء تعرّض الواثق المتحرّز لما كان في غروب كلماته من حوشي اللغة عن فهمه ما يدل على قصر باعه وقلة متاعه .

ويا عجباً للفراغ ! كيف سوّغ لهذا المغتدّر أن يجارى بحلّاق درعه تقسّم أفكاره يوكيف أنساه اجتماع شمهله بعد دياره يوكيف أذهله حضور أحبّته عن مغيّب أفلاذ كيديوكيف طرفت ناظره سكرة الحطّ عن تضور ما يجنّ خلد يوكيف لم يدر ما لي من أَلْحاظٍ مقسّمة وطنون مَرَجّمة لم والتفات إلى ولدٍ ينتهب الشوق إليه تصبّري وينبّه الإشفاق عليه حدّريوكيف لم يخطر بباله أني قريبٌ عهدٍ بمحلّ عزٍّ وثروة كانا أوحشاني من الأكفء وخلصاني بين الأعداء والأصدقاء .

وقد تكلفت الإجابة عما تضمّنته الأبيات انقياداً لمُرادك ومُقْتَسِراً رأبي على إسعادك أجرّ أقلامي جرّاً وهنّ ثواكل وأنبّه قرائحي وهنّ في غمرات الهموم ذواهل توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

قال هذا السائل : إن المسؤول درّوك لتلك الفتوة يومستحقّ بها الرتبة العليا . فقال شيخ من شيوخنا - عزفته لنا الأيامُ عن كل فات فوفّات وزادت وعوّضتّناه من كل مُخْتَرَم فأحسنّت وأفادت وكان لحظّ الأبيات قبلي ولاءم مشكله في التعجب منها مشكلي : أن (دروكاً) هاهنا لا يجوز لأن فعولاً لا يكون من أفعال

